النحو بين الإلغاء والإبقاء

للأستاذ أحمد محمد الحوفى

المدرس بكلية دار العلوم

بجامعة فؤاد الأول

(٦) لا بد من دراسة النحو أو خطر الدعوة إلى تقويضه

إذا كان النحو روح المعنى كما سبق ، ثم هو أساس التركيب ، فلا جرم تكون دراسته ضرورية ، والإلمام به ، من عدة الأديب والمتكلم الفصيح لأن اللغة قد صارت إلى أن تعلم بالدرس بعد أن كانت تعرف بالسليقة والمحاكاة .

وليست الدعوة إلى إلغائه إلا هدما للغة من قواعدها الوطيدة ، وهدما لهذا الدين الذى ختم الله به الأديان للناس ، ثم تعفية على القرآن الكريم والحديث الشريف ، وما خلف السابقون واللاحقون من روائع الشعر والنثر والثقافة ، ولذا يقول ابن الأثير . « فوجب حينئذ معرفة النحو إذ كان ضابطا لمعانى الكلام ، حافظا له من الاختلاف » (١) والتصريف شعبة من النحو وإن فصله بعضهم ، فلا بد من دراسته « وإذا لم يكن عارفا به لم تفسد عليه معانى كلامه ، وإنما تفسد عليه الأوضاع وإن كانت المعانى صحيحة . . ومن العجب أن يقال انه لا يحتاج إلى معرفة التصريف ، ألم تعلم أن نافع بن أبى نعيم وهو من أكبر القراء السبعة قدرا ، وأفخمهم شأنا قال فى معايش معائش بالهمز ، ولم يعلم الأصل فى ذلك ، فأوخذ عليه ، وعيب من أجله ، ومن جملة

(١) المثل السائر ص ٥

من عابه أبو عثمان المازنى فقال فى كتابه فى التصريف . « ان نافعا لم يدر ما العربية »[1]

وعلى فرض أنا نوافق على إلغاء الإعراب من اللغة فماذا نصنع فى تراثنا الخالد ، ودستورنا الهادى وهو القرآن الكريم ؟ وكيف يقرأ ؟ وكيف يحفظ؟ ثم ماموقفنا من الحديث الشريف وإنتاج السلف من فن وعلم وأدب؟ أنقطع الصلة بيننا وبين هذا التراث الثمين وهو الينبوع الذى نستقى منه حميا العزة والمجد ؟أم نحوله إلى لغة التسكين الجديدة ؟

ثم ماذا نصنع فى الكلمات التى لاتسكن كالمثنى وجمع المذكر السالم وبعض المبنيات ؟ انسكنها حتى فى الوصل ؟

ثم ان اللغة المعربة هى اللغة التى تربط الأمة العربية ، وتكفل التفاهم بين أقطارها المختلفة ، لأن لهجاتها العامية متباينة ، فلو ألغينا الإعراب ولجأنا إلى التسكين لقربت الفصحى من العامية ، ولنطقها كل أقليم بلهجتين فلايتحقق التفاهم ، ولا يتحقق الاتصال ، ولقضينا بذلك على الوحدة العربية المنشودة التى نجد جميعا فى تقوية أواصرها ، وهى ما زالت فى المهد .

وليست اللغة العربية وحدها هى المختصة بالاعراب كما رأى بعض علمائها السابقين ، وكما يزعم بعض الدعاة إلى التسكين ، فالألمانية تشاركها وتزيد عليها أحيانا ، فإن لاعراب الأسماء عندنا ثلاثة أحوال : الرفع والنصب والجر ،أما الألمانية فلإعرابها أربعة أحوال : الرفع والنصب والجر بحرف الجر ، والجر بالاضافة .

والإعراب عندنا مقتصر على أكثر الأسماء والأفعال ، ولكنه فى الالمانية يتجاوز ذلك إلى مايقابل الحروف والأسماء المبنية عندنا من أدوات التعريف والتنكير والأسماء الموصولة .

والأسماء فى الألمانية تنقسم ثلاثة أقسام : مذكر ،ومؤنث ، وغيرعاقل ولكل منها أداة تعريف . وهذه الأدوات تخضع لعوامل الإعراب

(١) المثل السائر ص ٧

الأربعة السابقة . فقبل النطق بأى اسم من الأسماء المعرفة يجب أن تختار له أداة تعريف من بين اثنتى عشرة أداة هى حاصل ضرب أنواع الاسماء الثلاثة فى أحوال الاعراب الاربعة وكذلك الشأن فى أدوات التنكير (١)

على انه كان فى البابلية والعبرية والسريانية ، ولكن تضاءل، ولم يبق منه شىء تقريبا كما كان فى اللاتينية ولكن انقرض فى اللغات المتشعبة منها وقد كان معظم هذه القواعد كبير الفائدة فى بيان وظيفة الكلمات وتحديد مدلولاتها وتعيين العلاقات التى تربط عناصر العبارة بعضها ببعض وقد أدى انقراض هذه القواعد فى اللهجات المتشعبة عن اللاتينية إلى كثير من اللبس والاضطراب ، (٢) ثم لماذا لا يدعو الفرنسيون مثلا إلى إلغاء قواعدهم وهى متشعبة كقواعد اللغة العربية ، على أنهم حراص على تيسير لغتهم وذيوعها فى العالم كله ؟

(١) من مقال للاستاذ مهدى علام فى صحيفة دار العلوم

(٢) علم اللغة للدكتور على عبد الواحد ٣٠٢

(ثالثا)

التيسير لا الالغاء

خير من الدعوة إلى إلغاء النحو أن ندعو إلى تيسيره .

بل الدعوة إلى إلغائه دعوة فاشلة باطلة ، لا يصح أن نصيخ إليها ، ولا نعمل بها .

ويظهر أن تيسير النحو قد شغل بعض الباحثين قديما ، فان ابن خلدون يقول : « ولعلنا لو اعتنينا بهذا اللسان العربي لهذا العهد ، واستقرينا أحكامه نعتاض عن الحركات الاعرابية فى دلالتها بأمـــور أخرى موجودة فيه

تكون لها قوانين تخصها . ولعلها تكون فى أواخره على غير المنهاج الأول فى لغة مضر ، فليست اللغات وملكاتها مجانا ، ولقد كان اللسان المضرى مع اللسان الحميرى بهذه المثابة . وتغير عند مضر كثير من موضوعات اللسان الحميرى وتصاريف كلماته ، تشهد بذلك الأنقال الموجودة لدنيا خلافا لمن يحمله التصور على أنها لغة واحدة . . . ولغة حمير لغة أخرى مغايرة للغة مضر فى الكثير من أوضاعها وتصاريفها وحركات إعرابها » (١)

ثم هى مشكلة تتجدد فى كل عصر ، ويزيدها هذا التباين بين لغة المعمل والمصنع ، والسوق ، والشارع ، والمنزل وبين لغة الدرس ــ أحيانا ــ والمحاضرة والشعر والنثر والخطبة ، حتى ليصح القول إن اللغة الفصحى ليست صورة صادقة لشعور الجمهرة من العرب فنحن نضطرب بين لغتين .

---

(١) المقدمة ص ٤٩١

إحداهما لغة الحياة اليومية أى لغة الآلام والآمال والأحلام والرضا والسخط والفرح والحزن لجمهرة الشعب وهى التى تتعلمها كما يقول (دانتى) بمحاكاة أظآرنا ومربياتنا من غير حاجة إلى ضابط أو قاعدة ، والأخرى لغة الإنشاء أى اللحظات القليلة فى حياة الفئة المحدودة من الأدباء ومدرسى اللغة . وهى مع ذلك لغة الأدب العربى فى عصوره الزاهرة، ولغة الاسلام فى كتابه وسنته وتشريعه . ولغة الآمال و الآلام المشتركة بين الأمم العربية .

فماذا نقترح لتيسير الاعراب وتسهيل تعلم اللغة الفصيحة ؟

---

(١) قصر الاعراب على لغة الأدب والعلم وما شاكلهما

لا أجد بدا من ترك الاعراب فى لغة الحديث اليومى المعتاد لانى أرى من العبث أن أدعو إلى الاستمساك به فى لغة الغرض منها تحقيق المنافع السريعة والتفاهم العاجل الميسر وليس الغرض منها الافتنان أو التعبير الممتاز .

وما من إنسان يستطيع أن يدعى أن لغة الشعر والكتابة فى الانجليزية والفرنسية والألمانية مثلا هى لغة المحادثة والمشافهة والخطاب المعتاد ، إذ بينهما من الفروق ما يجعل هذه من تلك شبيهة بالعامية من الفصحى عندنا وإن كانت الهوة عندنا أوسع لطول عهدنا بالجهل والركود ولطول ما حوربت الفصحى فى مصر والشرق بالتركية آنا والفرنسيه والانجليزية آنا . فلغة التخاطب بين الفلاحين الفرنسيين أو الانجليز أو الألمان تختلف كثيرا عن اللغة الادبية لغة الكتابة والانشاء ويظهر هذا الاختلاف فى نطق الكلمات واستعمالها وتطبيق القواعد النحوية ، وإننى لأذكر ما سمعته مرة من فلاح إنجليزى يعلم ابنه فسألته . ماذا يعمل معه ! فقال .

i learn'm يريد I teach him فاستعمل learn بدل teach ، وكذلك يستعمل الانجليزى العادى فى لغة حديثة عبارة I havenotgotnotbing يريد Ihavenotbing

ويظهر الخطأ النحوى متفشيا بين الفلاحين والعمال الألمان لأن النحو

الألمانى يشبه فى صعوبته النحو العربى ولذلك قل أن يستعمل العامل الالمانى فى لغة التخاطب الاضافة الصحيحة Genativ أو يحافظ على عمل الحروف كحرف الجر مثلا أو يعرف استعمالها الصحيح . فهو يستعمل nach بدلا من zU (١) على أن عاميتنا آخذة الآن فى القرب من الفصحى بعد انتشار التعليم ووسائل الثقافة ويقظة الروح القومى حتى ليصح القول إنها قد ارتقت منذ عشرين عاما رقيا يبشر بأنها بعد قرن واحد ستكون قريبة من الفصحى قرب لغة الحديث الانجليزية من الانجليزية المكتوبة .

ولكن لست أدعى أنها ستكون معربة يوما ما ، لما فى الاعراب من جهد ، ولحاجة المتكلم به إلى روية ومرانة لا يكتسبهما إلا المختصون فى دراسة هذه اللغة ، المدربون على التكلم بها ، أو الناشئون فى بيئة عربية خالصة . ولأن الناس فى محادثاتهم يختصرون الطريق ، ويميلون إلى التسهيل والتسمح .

ومن اتفاق الخواطر أن القلقشندى قد دعا إلى مثل هذا الرأى ، فقال . « واعلم أن اللحن قد فشا فى الناس ، والألسنة قد تغيرت ، حتى صار التكلم بالاعراب عيبا ، والنطق بالكلام الفصيح عيا ، قلت . والذى يقتضيه حال الزمان ، والجرى على منهاج الناس أن يحافظ على الاعراب فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية ، وفى الشعر ، والكلام المسجوع ، وما يدون من الكلام ويكتب من المراسلات ونحوها ، ويغتفر اللحن فى الكلام ، الشائع بين الناس ، الدائر على ألسنتهم مما يتداولونه بينهم ، ويتحاورون به فى مخاطباتهم ، وعلى ذلك جرت سنة الناس فى الكلام مذ فسدت الألسنة ، وتغيرت اللغة »(٢)

ويعضدنى فى هذا الرأى أن اللحن فى لغة المشافهة قد وقع قديما ، واللغة أقرب إلى السلامة ، وأبعد من العجمة ، وإذا كان بعض النحاة قد تأول بعض ما وقع فإن هذا لا يخرجه عن أنه مخالفة للمتعارف من أوضاع اللغة بين جمهور العرب ، ويحسن أن أورد هنا بعض الأمثلة من اللحن الذى طرأ على لغة الخطاب فى صدر الاسلام ، وفى العصر الأموى ، والعباسى الأول ،

(١) من محاضرة الاستاذ عبد العزيز أمين (صحيفة دار العلوم)
(٢) صبح الاعشى ج ١ ص ١٧٤

يستبين منها أن بعض البلغاء ، وبعض العرب قد لحنوا .

(ا) ظهر قليل من اللحن فى زمن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فقد ورد أنه مر بقوم يرمون ، فاستقبح رميهم ، فقال . ما أسوأ رميكم ! فقالوا: نحن قوم متعلمين ، فقال عمر . لحنكم أشد على من فساد رميكم .

(ب) ورد أن كاتبا لأبى موسى الأشعرى كتب إلى عمر . « من أبوموسى الأشعرى » فكتب عمر إلى أبى موسى . عزمت عليك لما ضربت كاتبك سوطا.

(ح) ارتفع إلى زياد رجل وأخوه فى ميراث ، فقال . « إن أبونا مات ، وإن أخينا وثب على مال أبانا فأكله » فقال زياد . « الذى أضعت من لسانك أضر عليك مما أضعت من مالك » وقال له القاضى . « فلا رحم الله أباك ، ولا نتج عظم أخيك ، قم فى لعنة الله .

(ى) وقال أبو شيبة قاضى واسط . أتيتمونا بعد أن أردنا أن نقم(٣)

(ه) روى أبو الحسن أن الحجاج كان يقرأ . « إنا من المجرمون منتقمون » ، على أن رؤية بن العجاج وأبا عمرو بن العلاء قد زعما أنهما لم يريا قرويين أفصح من الحسن والحجاج .

(و) وغلط الحسن فى حرفين من القرآن الكريم هما . « ص والقرآن » « وما تنزلت به الشياطون »

(ز) وأول لحن سمع بالبادية . هذه عصاتى (١)

(ح) وقيل لأبى حنيفة . ماتقول فى رجل أخذ صخرة فضرب بها رأس رجل فقتله ، أتقيده به ؟ قال لا ولو ضرب رأسه بأبا قبيس (٣) .

وقد احتج له ابن فارس بأنه جرى على لهجة عربية ، قال ياقوت . فهذا احتجاج إن كان أبو حنيفة قصد هذه اللغة الغريبة الشاذة .

(ط) وقال بشر المريسى : قضى الله لكم الحوائج على أحسن الوجوه وأهنؤها.

(ى) قال بشر بن مروان — وعنده عمر بن عبد العزيز — لغلام له . أدع لى صالحا ، فقال الغلام . يا صالحا ، فقال له بشر . ألق منها ألف ، فقال له عمر . وأنت فزد فى ألفك ألفا .

(١) البيان والتبيين حـ ٢ ص ١٧٥ (٢) البيان حـ ٢ ص ١٧٤
(٣) البيان حـ ٣ ص ١٦٩

(ك) حكى عن الفراء مع جلالة قدره وعلو رتبته فى النحو أنه دخل يوما على الرشيد ، فتكلم بكلام لحن فيه ، فقال جعفر بن يحيى . يا أمير المؤمنين . إنه قد لحن ، فقال الرشيد للفراء . أتلحن يايحيى ؟ فقال ياأمير المومنين . إن طباع أهل البدو الإعراب ، وطباع أهل الحضر اللحن ، فإذا حفظت أو كتبت لم ألحن ، وإذا رجعت إلى الطبع لحنت ، فاستحسن الرشيد كلامه »(١)

* * *

وكان لحنهم أنواعا ، فلحن فى الإعراب كما سبق ، ولحن فى بناء الكلمة كالذى قيل . إن نبطيا سئل . لم اشتريت هذه الأتان ؟ فقال . أركبها وتلد لى (بفتح لام تلد) ولحن فى تركيب الجمل كالذى حكى الجاحظ قال . قلت لخادم لى . فى أى صناعة أسلم هذا الغلام ؟ قال . « أصحاب سند نعال » ، يريد فى أصحاب النعال السندية (٣) .

* * *

وبعد فهذه أمثلة قليلة من كثير من اللحن الذى روى عن العرب وعلماء النحو فى تلك العصور التى كانت فيها اللغة فصحى .

وليس بغريب أن يلحن النحاة ، لأن العلم باللغة ونحوها غير النطق بها وممارستها ، وكثيرا ما يجيد الرجل معرفة قواعد اللغة وضبطها وفهمها ثم لايحسن أن يتكلم بها ، كالذى روى عن الفراء ، وعن الشلوبين فقد كان إماما فى النحو ولكنه لم يحسن الكلام ، لأن العلم بقوانين الاعراب إنما هو علم بكيفية العمل ، وليس هو نفس العمل ، ولذلك تجد كثيرا من جهابذة النحاة والمهرة فى صناعة العربية المحيطين علما بتلك القوانين إذا سئل كتابة سطرين إلى أخيه أو ذى مودته أو شكوى ظلامة أو قصد من قصوده أخطأ فيها عن الصواب ، وأكثر من اللحن ، ولم يجد تأليف الكلام لذلك ، والعبارة عن المقصود على أساليب اللسان العربى ، ولذا نجد كثيرا ممن يحسن هذه الملكة ويجيد الفنين من المنظوم والمنثور وهو لا يحسن إعراب الفاعل من

(١) صبح الاعشى جـ ١ ص ١٧٣ (٢) البيان جـ ١ ص ١٢٢

المفعول ، ولا المرفوع من المجرور ، ولا شيئا من قوانين صناعة العربية »[1].

ولهذا حرص الجاحظ على أن تروى نوادر الأعراب معربة ، ونوادر العوام ملحونة ، على حالها ، ومتى سمعت بنادرة من كلام الأعراب فإياك وأن تحكيها إلا مع إعرابها ، ومخارج ألفاظها ، فإنك إن غيرتها بأن تلحن فى إعرابها ، وأخرجتها مخرج كلام المولدين والبلديين خرجت من تلك الحكاية وعليك فضل كبير ، وكذلك اذا سمعت بنادرة من نوادر العوام ، وملحة من ملح الحشوة والطغام فإياك وأن تستعمل فيها الاعراب ، أو أن تتخير لها لفظا حسنا ، أو أن تجعل لها من فيك مخرجا سريا ، فإن ذلك يفسد الامتاع بها ، ويخرجها من صورتها »

ثم يقول عن أهل المدينة . « واللحن فى عوامهم فاش ، وعلى من لم ينظر فى النحو منهم غالب ، ثم يستملح اللحن من الكواعب النواهد ، ومن الشواب الملاح »[2].

(٢) تعليم اللغة بالسماع أولا

بعد أن تتحلل من النحو والاعراب لغة المحادثة ، يبقى موقوفا على لغة العلم والأدب ، وعلى الخطابة بأنواعها . فكيف نعلمه ؟ وبم نيسره ؟ لعل أوضح ما ينير الطريق أمامنا إلى اقتراحنا أن نقرر أن اللغات كلها إنما تتعلم بالسماع ، ثم بالمزاولة .

فالطفل يسمع من أبويه ومخالطيه لغتهم فيحاكيهم فيها ، وينطق بما ينطقون به تدريجيا ، وكذلك كان العربى يسمع كلام خلطائه فيلقنه مفردات أولا ، ثم جملا ، ثم لا يزال سماعه يتجدد فى كل وقت ، ومن كل متكلم ، ولا يزال يتمرن على القول حتى تصير اللغة ملكة له ، أو صفة راسخة فيه .

فخير وسيلة إذن لتعليم اللغة السماع ، والاستعمال ، والمشافهة ، ولكنا قد رأينا تعذر التزام الاعراب فى لغة المشافهة ، فماذا نصنع لتيسيره فى غيرها ؟

---

[1] مقدمة ابن خلدون ص ٤٩٤ [2] البيان والتبيين حـ ١ ص ١٣٤

ماذا نصنع لتعويد الطالب أن يخطب فلا يلحن ، ويطالع فلا يلحن ، ويكتب فلا يلحن ؟

خير وسيلة فى نظرى حفظ القرآن الكريم كله أو كثير منه ، وحفظ كثير من الحديث الشريف وكلام العرب ، واستيعاب ما يمكن استيعابه من الشعر والنثر قديمه وحديثه الآن هذا كفيل بتقريب روح اللغة إلى الحافظ والقارىء والدارس .

ولهذا ملأ سيبويه كتابه بالشواهد ، ففيه ألف وخمسمائة بيت من الشعر سوى الأمثال والجمل البليغة ، فيه جزء صالح من تعليم هذه الملكة ، فتجد العاكف عليه والمحصل له قد حصل على حظ من كلام العرب . . . وتنبه به لشأن الملكة فاستوفى تعليمها . فكان أبلغ فى الافادة وأما المخالطون لكتب المتأخرين العارية عن ذلك إلا من القوانين النحوية مجردة عن أشعار العرب وكلامهم فقلما يشعرون لذلك بأمر هذه الملكة . . . فتجدهم يحسبون أنهم قد حصلوا على رتبة فى لسان العرب وهم أبعد الناس عنه ، وأهل صناعة العربية بالأندلس ومعلموها أقرب الى تحصيل هذه الملكة وتعليمها من سواهم ، لقيامهم فيها على شواهد العرب وأمثالهم . والتفقه فى الكثير من التراكيب فى مجالس تعليمهم . . وأما من سواهم من أهل المغرب وإفريقيه وغيرهم فاجروا صناعة العربية مجرى العلوم بحثا ، وقطعوا النظر عن التفقه فى تراكيب كلام العرب ، إلا إن أعربوا شاهدا ، أو رجحوا مذهبا من جهة الاقتضاء الذهنى لا من جهة محامل اللسان وتراكيبه ، فأصبحت صناعة العربية كأنها من جملة قوانين المنطق العقلية أو الجدل وبعدت عن مناحى اللسان وملكته وما ذلك إلا لعدولهم عن البحث فى شواهد اللسان وتراكيبه وتميز أساليبه وغفلتهم عن المران فى ذلك للمتعلم فهو أحسن ما يفيد الملكة فى اللسان » (١)

ولقد كانت طريقة العرب فى تعلم اللغة الفصحى هى المخالطة للفصحاء

(١) المقدمة ص ٤٩٥

ومعاشرتهم فقد قيل لبشار : « ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلا وقد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم وشك فيه وإنه ليس فى شعرك مايشك فيه » قال : « ومن أين يأتينى الخطأ وولدت هاهنا ونشأت فى جحور ثمانين شيخا من فصحاء بنى عقيل ما فيهم أحد يحرف كلمة من الخطأ . وإن دخلت إلى نسائهم فنساؤهم أفصح منهم وأينعت فأبديت إلى أن أدركت فمن أين يأتينى الخطأ ؟ (١) .

وقد تخرج فى البادية أبو نواس والفرزدق ورؤبة وأبو الطيب وغيرهم كما كان بعض الخلفاء يبعثون بأبنائهم إليها للتفصح واستقاء اللغة من ينابيعها.

وقد فطن ابن خلدون إلى أن الطريقة المثلى لتعلم اللغة المرانة وكثرة الحفظ والقراءة ، لينطبع لسان المتعلم وفكره على اللغة ، وقرر أن سكان الأمصار أشد إغراقا فى اللحن من سكان البوادى ، لأنهم لقنوا أول الأمر لغة ملحونة ، فاعوجت ألسنتهم ، وفسدت لغتهم ، فالنحو وحده لايكفى . بل لابد من مخالطة الأعراب ، والتدرب على محادثتهم ، لأن اللغة ملكة ، والملكات لاتكتسب إلا بالتكرار والارتياض والمران ، فقد كان العربى يحاكى أهله فى نطقهم وتعبيرهم كما يحاكى الطفل أهله فى النطق فى هذه الأيام بأية لغة .

وفى العصر الحديث تعلم البارودى اللغة العربية وأجادها فهما ، وأجاد الشعر نظما ، ولم يتعلم نحوا ، وذلك بكثرة قراءته وحفظه ، كما يقرر ذلك الشيخ حسين المرصفى فى كتابه (الوسيلة الأدبية) .

ولهذا رأى (فتريتو) زعيم التربية الأدبية فى إيطاليا أن أنجح وسيلة لتعليم اللغة اللاتينية للأطفال أن يجعلها لغة المحادثة منذ الصغر ، يتفاهمون بها ، ويتحدثون مع أستاذهم ، على أنه عنى بتجويد نطقهم ، وجودة إلقائهم ، وتمثيلهم للمعانى .

(١) الاغانى جـ ٣ ص ٢٦ .

(٣) لغة الحياة

ثم تستنبط القواعد النحوية من قطع إنشائية شائقة من عمل المدرس متصلة بحياة التلاميذ وبيئتهم وملائمة لميولهم وعقليتهم، ويحسن أن تكون متمشية مع مايشغلهم ويسترعى انتباههم من حوادث المدرسة أو حوادث الخارج كمباراة فى الكرة أو رحلة مدرسية أو ذكرى الجهاد، أو رأس السنة الخ . .

وقد مارست هذا فى تدريس الصرف للسنة الثانية الثانوية حتى فى أكثر الموضوعات جفافا كالمصدر، واسم الزمان والمكان ، والتصغير ، واسم المفعول ، فكنت أكتب لهم على السبورة قطعة حية شائقة يكثر فيها اسم المفعول مثلا بصورتيه ، وأحوال عمله ، ثم أستنبط منهم القاعدة .

والحق أنى وجدت فى ذلك تيسيرا عليهم ، وتشويقا لهم ، ووجدت أن القطعة المترابطة الشائقة كفيلة بسرعة الفهم ، ومرغبة فى القواعد ، لأن التلاميذ لايحسون آنئذ أن القواعد جافة ، ولا أنها منبتة عن الحياة .

(٤) الاقتصار على المهم

على أن نقتصر فى التعليم الابتدائى والثانوى على المهم الضرورى من القواعد ، فما حاجة الطلبة إلى توكيد الفعل المسند إلى ألف الاثنين واو الجماعة وياء المخاطبة ونون النسوة ؟ وماحاجتهم إلى التوسع فى النسب والتصغير ؟ ثم مالهم وتوكيد الضمير البارز والمستتر بالنفس والعين ؟ وما الداعى لتعليمهم قواعد مصادر الثلاثى وهى تقريبية لاقياسية ؟ ولم نعلمهم النكرة غير المقصودة فى النداء ؟ وكذا أحوال اسم لا ؟ وانهم لمعذورون فى اضطرابهم بين المفرد والجملة ، فالمفرد تارة ماليس مثنى ولا جمعا ، وتارة ماليس جملة ولاشبه جملة .

فمن الصالح حذف هذه الأبواب والمصطلحات .

ومن الصالح حذف الإعراب التقديرى والمحلى من المدرسة الابتدائية ، والاكتفاء فيها بألقاب البناء لتدل على البناء وعلى الإعراب معا . كما تحذف

موضوعات يمكن الاستغناء عنها إما لأنها لا دخل لها فى ضبط أواخر الكلمات كالإعلال والإبدال وقواعدهما وشروط عمل اسم الفاعل والمفعول والتفضيل ، وإما لأنها قليلة الاستعمال كتصغير غير الثلاثى ، والاستغاثة والندبة والاشتغال ، وإما لأنها يصح فيها وجهان كالعطف على الضمير المستتر بعد فصل أو بغير فصل .

ثم تحذف أحوال بناء الماضى والأمر ، فإن نطقهما فى جميع أحوالها غير محتاج إلى قاعدة تبين أحوال البناء كما لا ننص على إعراب الحروف .

(٥) التطبيق ، والشفهى خاصة

بعد هذا الاختصار ، والاقتصار ، وبعد استنباط القواعد من نماذج وثيقة الصلة بالحياة لا بد من التطبيق ، وليكن أكثره شفهيا .

وإذا كان بعضه تكوينيا فليحذر المدرس القيود المملة الدوارة ، بل ليهدف إلى الغرض فى طريق مستقيم .

وحبذا أن يحرص المدرسون جميعا على التدريس بلغة صحيحة ، ففى حرصهم هذا تغذية للتلاميذ وتقوية ، ثم يحسن المدرسون صنعا إذا شجعوا التلاميذ على توخى اللغة الصحيحة فى إجابتهم الشفهية ومحاوراتهم وأسئلتهم ، ليكتبوا بعد ذلك كتابة سليمة ، وليسهل عليهم القول فى مجال القول .

(٦) الشكل

ثم لا بد من شكل كل كتاب يقرؤه التلاميذ ، سواء أكان شكلا كاملا أم شكلا لغير الحروف المفتوحة ، لأن الفتحة أكثر من نصف الحركات والسكون معا ، ويعتبر تركها اصطلاحا يدل عليها .

وقد دلت التجارب على أن التلاميذ حتى فى المدرسة الابتدائية يقرءون قراءة صحيحة ما كان مشكولا ؛ وإنما يقع منهم اللحن أحيانا لبعد الشكل عن الحرف ، أو اختلاطه بغيره ، أو لقلة الانتباه .

والشكل مشكلة قد كثر فيها البحث ، وكثرت الاقتراحات ، ولعل أولاها بالتجربة والقبول إدخال حروف فى رسم الكلمات نفسها بصورتها العربية ،

ومادام لم يجرب اقتراح ما فلنثبت على الشكل المعروف حتى تثبت صلاحية غيره.

(٧) وسائل الثقافة

ومما يساعد على نشر اللغة الصحيحة الخطب فى المدرسة وخارجها، والأغانى، والإذاعة، والمسرح، والخيالة، والإعلانات، والصحف، والمجلات، والمناظرات الخ. فلو توخت هذه كلها اللغة الصحيحة لأسهمت فى تعليم الشبان لغتهم القومية، وسهلتها عليهم.

(٨) الكتاب الملائم

ثم لا يليق بنا أن تكون مكتباتنا فقيرة إلى هذا الحد من الكتب التى توائم روح الأطفال والشباب، وترضى حاجتهم، وتغذى خيالهم، فليؤلف الكتاب والمدرسون فى العالم العربى كتبا تجتذب التلاميذ إلى قراءتها، فتثقفهم من ناحية، وتعلمهم من ناحية ثانية، فيتقنوها، ويحسنوا التصرف فيها، ويهجروا المجلات الماجنة والقصص المفسدة. ولقد يساعد الكتاب على ذلك دراستهم للطفولة فى مصر والعالم العربى، وهذه ناحية مفقودة الآن تقريبا، على حين قد حفلت مكتبات الأمم الراقية بالدراسات والبحوث فى نفسية الأطفال، وخصائصهم قبل سن الروضة، وفى المدرسة الابتدائية، وعن الفتى والفتاة، وعن منطق الأطفال وتفكيرهم وخيالهم الخ.

ثم يساعدهم دراسة المظاهر اللغوية عند الأطفال، وطرائق النمو فى قاموسهم. ونوع الموضوعات والأساليب التى تناسب عقولهم وأخيلتهم وتصوراتهم فى كل مرحلة، كما حدث فى الغرب بطريقة القائمة المدونة، أو بطريقة النماذج على غرار طريقة جيزل الأمريكى، وكأبحاث العلامة بياجيه، وهازلت، وماكارتى، وإيزاكس، وإدجل، وسرل برت الخ (١).

(١) الطفل من المهد إلى اللحد.